موقف الخليفة عمر بن الخطاب من البحر والغزو فيه

طارق محمد العزام*
محمد علي الروسان**

* محاضر، كلية إربد الجامعية
** أستاذ مساعد، كلية إربد الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن

الملخص

ضمت الدولة الإسلامية، خلال حركة الفتوحات، زمن الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سواحل بحرية طويلة؛ مما دعا إلى حمايتها وإيجاد سياسة للتعامل مع البحر والغزو فيه، وقد جاءت هذه الدراسة مستهدفة تعرف موقف الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من البحر والغزو فيه، معتمدةً المنهج التاريخي للوصول إلى رؤية أوضح عن موضوع الدراسة.

وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من الاستنتاجات، أهمها أن الخليفة عمر بن الخطاب لم تكن له سياسة واحدة ثابتة طوال خلافته تجاه الغزو في البحر؛ فقد ظهر في أوائل خلافته نشاط وغزوات بحرية، أولها غزوة العلاء بن الحضرمي فارس من البحرين، وعلى الرغم من فشلها فإن حركة الغزو البحري استمرت على يد عثمان بن أبي العاص الثقفي، الذي غزا عن طريق البحر إصطخر والسند، ولم يتوقف الأمر على غزوات الولاة البحرية، فقد اختار عمر الغزو البحري؛ حيث أرسل حملة بقيادة علقمة المدلجي لتأديب الأحباش، لكن فشلها المتمثل في غرق كل من شارك فيها دفع عمر بن الخطاب إلى التراجع عن سياسته تلك، ليتخذ قراراً قاطعاً بمنع المسلمين كلياً من ركوب البحر للغزو؛ لإدراكه وتيقنه من عدم امتلاك العرب المهارات الكافية لركوب البحر ومنافسة غيرهم من الشعوب التي خبرته.

مقدمة تمهيدية

عرف عرب شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام البحر والإبحار، فكان لموقع شبه الجزيرة العربية المشرف على عدد من البحار والمتوسط بين قارات العالم القديم الدور الأساسي والمهم الذي أتاح لسكانه القيام بدور الوسيط، وفي أن يكونوا نقطة الوصل بين دول العالم القديم في مجال التجارة[1]، وقد استطاع العرب في جنوب الجزيرة وسواحل الخليج وعُمان وبلاد الرافدين أن يقيموا علاقات تجارية مع الهند، تعود بتاريخها إلى الألف الثالث قبل الميلاد[2]، كما استطاع اليمنيون – قبل الميلاد – أن يقيموا علاقات تجارية مع الحبشة ومصر، ووصلت تجارتهم إلى بلاد اليونان[3].

ومع ظهور الإسلام كان النشاط البحري العربي – في إطار ضيق ومحدود – غير منقطع[4]؛ ففي مكة عرفت قبيلة قريش البحر وتاجرت فيه، على الرغم من أن أغلب نشاط قريش التجاري كان برياً، ويتمثل في رحلة الشتاء والصيف، إلا أن هجرتي المسلمين الأولى والثانية إلى الحبشة[5]، تشير إلى وجود علاقات وثيقة ونشاط تجاري بحري دائم مع الحبشة[6].

ويبدو أن قريشاً لم تمتلك سفناً خاصة في تجارتها مع الحبشة، واعتمدت على السفن الحبشية في ذلك، بدليل أن المسلمين في هجرتهم إلى الحبشة ركبوا سفناً حبشية[7]، ومما يؤكد هذه الصلات التجارية بين قريش والحبشة أيضاً، إرسال قريش رسولين إلى النجاشي ملك الحبشة ليطالبا برد المسلمين من المهاجرين[8]، وقد حمَّلت قريش رسوليها هدايا للنجاشي، أهمها كان الأدم (الجلد)، الذي كان أكثر ما يحب النجاشي من تجارة قريش[9]؛ مما يشير إلى وجود حركة نشطة للسفن بين الجزيرة والحبشة عبر البحر الأحمر.

ولم يقتصر النشاط البحري في البحر الأحمر على منطقة الحجاز وقريش، بل عرف أهل جنوب الجزيرة العربية (اليمن) الإبحار في زمن الرسول (ﷺ)، ويؤكد هذا هجرة الأشعريين بقيادة أبي موسى الأشعري، وخروجهم من اليمن – وكانوا أكثر من خمسين رجلاً– بسفينة يريدون اللحاق بالرسول (ﷺ)، لكن

سفينتهم جنحت بهم إلى الحبشة فنزلوا فيها، وهناك التقوا مهاجري المسلمين، فأقاموا معهم، ثم عادوا معهم إلى المدينة[10]، كما يورد ابن عساكر أن الرسول (ﷺ) بعث برجل من الأشعريين في مركب بالبحر إلى الشام، فسار فيه حتى وصل آيلة، وهناك التقى جيش زيد بن حارثة، وقاتل معه في مؤتة[11]، ولم يقتصر زمن الرسول (ﷺ) على الاتجار في البحر فقط، بل تشير رواية للواقدي (ت207هـ/ 822م) في كتابه المغازي، إلى أن الرسول (ﷺ) أرسل علقمة بن مجزِّز المدلجي بسرية إلى الحبشة في السنة (9هـ/ 630م)، وكان ذلك عقب قيام الأحباش بمهاجمة سواحل الجزيرة، وتحديداً سواحل جدة؛ حيث سار علقمة في البحر حتى وصل إليهم، وكانوا في جزيرة فهربوا منه[12]، ومن ذلك كله نستدل على أن العرب قبل الإسلام، وفي فترة الرسول (ﷺ) لم يكونوا منقطعين انقطاعاً كلياً عن البحر، بل كان لهم نشاط بحري، تمثل في امتلاكهم السفن زمن الرسول (ﷺ)، وإن كان هذا النشاط محدوداً، فإن الأمر تعدى حدود معرفة البحر والإبحار إلى الغزو فيه، ويتضح ذلك من خلال إرسال الرسول (ﷺ) سرية علقمة ضد الأحباش.

مشكلة الدراسة

بدأت حركة الفتوحات الإسلامية في زمن الخليفة أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، ومع تولي عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الخلافة، حقق المسلمون انتصارات كبرى أدت إلى فتوحات عظيمة، وعلى الرغم من انتصاراتهم على أعدائهم من الفرس والروم، فإن حركة المقاومة لدى الطرفين بقيت تسعى لوقف المسلمين واسترداد ما فتحوه من أراضٍ، وكانت السواحل من أهم مناطق المقاومة وأكثرها استهدافاً، خاصة في بلاد الشام، وقد تمثلت المشكلة في محاولة تعرف ملامح سياسة الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - البحرية، في ظل حاجة المسلمين إلى إيجاد سياسة عسكرية بحرية واضحة للدولة الإسلامية، تتولى الدفاع عن سواحلها.

أهداف الدراسة وأهميتها

تهدف الدراسة إلى توضيح موقف الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – من البحر وسياسة الدولة الدفاعية زمنه عن السواحل، كما تهدف أيضاً إلى توضيح موقفه من غزو المسلمين في البحر، ولا سيما أنه لا توجد دراسات حديثة عن الموضوع، وأغلب المراجع الحديثة انساقت وراء المصادر التاريخية الإسلامية التي تجمع القول على أن الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – منع المسلمين من ركوب البحر والغزو فيه. ومن هنا، فإن الدراسة تستمد أهميتها من أنها تحاول توضيح الموقف الفعلي للخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – بعيداً عن التعميم والانسياق وراء ما ورد في بعض المراجع الحديثة.

منهج الدراسة

اعتمدت الدراسة على المنهج المتبع في الدراسات التاريخية، وذلك من خلال دراسة وتقصي المصادر الإسلامية المبكرة التي عنيت بزمن موضوع الدراسة، وجمع الروايات التاريخية ذات الصلة بالموضوع، ثم عرض هذه الروايات وتحليلها ونقدها نقداً تاريخياً وموضوعياً، من خلال معارضة الروايات التاريخية بعضها ببعض؛ وذلك للوصول إلى التحليل والرأي التاريخي الأقرب عن موضوع الدراسة.

موقف الخليفة عمر بن الخطاب من البحر والغزو فيه

انطلقت حركة الفتوحات الإسلامية زمن الخلفاء الراشدين، وقد استطاع المسلمون خلال حركة الفتوح زمن خلافة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أن يفتحوا مناطق واسعة؛ ففتحت بلاد الشام والعراق وبلاد فارس ومصر وبرقة وطرابلس، وضمت هذه المناطق المفتوحة سواحل واسعةً، واجه المسلمون صعوبات في فتح بعضها؛ ففي الشام لم يتيسر للمسلمين السيطرة عليها إلا بعد فترة من فتحها، كما استطاع الروم أن يسيطروا على بعض السواحل التي لم

يوطد المسلمون نفوذهم فيها، كصيدا وعرقة وجبيل وبيروت، التي فتحها يزيد بن أبي سفيان بمساعدة أخيه معاوية، فأعاد معاوية فتحها مرة أخرى في أوائل خلافة عثمان بن عفان[13]، وواجه المسلمون صعوبات في فتح بعض سواحل الشام، كما حدث بطرابلس التي لم تفتح إلا بعد حصار طويل زمن الخليفة عثمان بن عفان – رضي الله عنه[14].

وواجه المسلمون أيضاً صعوبات جمة في فتح مدينة قيسارية، التي يظهر أن أغلبية المقاومة البيزنطية في جنوب الشام – وخاصة في فلسطين – قد تجمعت وتحصنت فيها[15]، وكان لإدراك عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – خطورة مدينة قيسارية على المسلمين أهمية كبيرة في فتحها؛ حيث أمر بإرسال ثلث الجيش الإسلامي في الشام إلى قيسارية بقيادة يزيد بن أبي سفيان، وجرت بين الطرفين معارك شديدة، استطاع المسلمون بعدها فتح المدينة بقيادة معاوية عام (19هـ/ 640م)[16]، وكان لفتحها نتائج مهمة؛ حيث استطاع المسلمون القضاء على المقاومة البيزنطية في جنوب الشام تقريباً، ثم السيطرة على أحد أهم مراكز المقاومة وآخرها في فلسطين[17]، وإلى ذلك يشير الأزدي (ت في حدود 170–175هـ/ 786–791م) في كتابه (فتوح الشام) بقوله: "وفرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً، ولم يبق في الشام من أقصاها ولا أدناها حينئذ عدو للمسلمين، وقد نفى الله المشركين عنها، وصار الشام كله في أيدي المسلمين"[18]، ويشير البلاذري (ت279هـ/ 892م) نقلاً عن الواقدي (ت207هـ/ 822م) إلى أن المسلمين استمروا في حصار قيسارية سبع سنين حتى فتحت سنة (19هـ/ 640م)[19].

وبعد أن أتم المسلمون فتح الشام ومصر، واجهوا مسألة مهمة، تمثلت في حماية السواحل فيها، وخاصة أنها بقيت مناطق دائمة التعرض لهجمات البيزنطيين البحرية[20]، لهذا أدرك المسلمون – زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) – أهمية وضع سياسة دفاعية للسواحل لمواجهة الخطر البيزنطي الذي بدأ يشدد ضرباته عليها[21]، وقد قامت هذه السياسة على الدفاع عن السواحل البحرية، بشحنها بالجنود وترميم الحصون فيها[22].

ويظهر أن هذه السياسة أصبحت سياسة عامة متبعة في كل سواحل البلاد

الإسلامية في الشام ومصر، وتتضح ملامحها من خلال رد الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – على كتاب معاوية، الذي وصف فيه سوء أحوال السواحل الشامية، بأن أمر فيه عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – معاوية بترميم الحصون الساحلية وشحنها بالمقاتلين، وأن يعين حراساً على أبراجها، ليتولوا أمر مراقبة البحر، ويضطلعوا بمهمة تحذير المسلمين من هجوم أعدائهم، وأن يقوم بتجهيز هذه الأبراج بمواقد النار، لتكون وسيلة اتصال بين المسلمين على امتداد السواحل الشامية[23].

ولم تختلف السياسة الدفاعية في مصر عما كان في الشام؛ فقد حرص عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – على إبقاء عدد كبير من المرابطين على السواحل في الإسكندرية وغيرها من السواحل المصرية؛ حيث كان والي مصر عمرو بن العاص يبقي نصف الجيش الإسلامي الموجود في مصر بالإسكندرية والسواحل، ويُعاقب بينهم كل ستة أشهر، فكان يترك نصفهم في الإسكندرية، والنصف الآخر على باقي السواحل، ويعود السبب في ترك نصف المقاتلين بالإسكندرية إلى أهميتها كميناء ومركز بحري وعسكري حصين. إضافة إلى هذه الحامية المرابطة على السواحل كان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يرسل بعثاً من أهل المدينة كل سنة ليرابط في الإسكندرية[24].

ويبدو أن أمر السواحل وحمايتها والإشراف على المرابطة فيها، قد دفع عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لأن يفرد لها أميراً، فولى عبد الله بن قيس الفزاري سواحل الشام كلها، وكانت مهمته– كما يظهر– متابعة أمور الدفاع، والإشراف على المرابطة وجاهزية الحصون، وتولي الدفاع عن السواحل ضد أي خطر قد يواجهها[25].

مما سبق يظهر اهتمام عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – بتأمين سواحل الدولة الإسلامية والدفاع عنها عبر تحصينها وترتيب المقاتلين فيها، إلا أنه لم يتجه نحو ركوب البحر ومواجهة أعداء المسلمين في ميدانه[26]، ومن ثم لم يؤسس أسطولاً بحرياً.

ولكن خلافة عمر لم تخل من محاولات لخوض غمار البحر والغزو فيه،

ومن أوائل هذه المحاولات، ما أورده ابن سعد (ت230هـ/ 844م) من أن: العلاء بن الحضرمي بعث من البحرين بعرفجة بن هرثمة البارقي الأزدي لغزو ساحل بلاد فارس في البحر سنة (14هـ/ 635م)؛ حيث سار بالسفن ففتح جزيرة من أرض فارس، وأغار على بازيخان وساحل فارس[27]، ثم أمر عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) العلاءَ أن يوجه هرثمة الأزدي مدداً إلى عتبة بن فرقد السلمي[28]، ولا يشير البلاذري إلى أي اعتراض لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إطلاقاً على غزوة هرثمة هذه.

ومن هذه المحاولات البحرية أيضاً محاولة العلاء بن الحضرمي نفسه غزو فارس عبر البحر عام (17هـ/ 638م)[29]؛ فقد خرج بأهل البحرين إلى فارس بالسفن بعد أن جهز جنوده حتى نزلوا في ساحل إصطخر[30]، ويبدو أن غزوة العلاء هذه جاءت عقب غزوة هرثمة، التي تعد نوعاً من الاستطلاع والتمهيد لغزوة العلاء؛ ففي سواحل إصطخر التقى المسلمون أهل فارس بقيادة الهربذ في منطقة تقع على الساحل تعرف باسم طاووس[31]، وقد جرت بين الطرفين معركة شديدة يبدو أنها لم تكن معركة حاسمة، على الرغم من مقتل عدد كبير من الفرس فيها، إلا أن الفرس استطاعوا منع المسلمين بقيادة العلاء من العودة إلى سفنهم والإبحار بها، بعد أن قاموا بإغراقها - على ما يبدو -؛ مما اضطر المسلمين إلى التخلي عن سفنهم والعودة براً من فارس إلى البصرة، لكن الفرس اعترضوهم بقيادة شهرك وقطعوا الطريق عليهم؛ مما جعلهم أشبه بالمحاصرين داخل فارس؛ لهذا أرسلوا في طلب النجدة، التي وصلتهم من البصرة وساعدتهم في قتال الفرس والانتصار عليهم والانسحاب من فارس[32].

وقد أغضبت غزوة العلاء هذه الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -؛ إذ تورد المصادر أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - غضب على العلاء؛ لأن غزوته لم تكن بإذنه، وأنه (أي عمر) كان لا يسمح لأحد بغزو البحر[33]، لكن المرجح هنا - وهو ما تشير إليه الروايات - أن غضب عمر - رضي الله عنه - إنما كان لأن غزوة العلاء كادت تكون وخيمة العواقب على المسلمين؛ وذلك لأن الفرس استطاعوا قطع الطريق عليهم، وكادوا يقضون

على جيش العلاء بأكمله، ويؤكد هذا الرأي كتاب عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – إلى عتبة بن غزوان، الذي أمر فيه عمر – رضي الله عنه – بإرسال مدد إلى العلاء بقوله: "إنّ العلاء بن الحضرمي حمل جنداً من المسلمين، فأقطعهم أهل فارس، وعصاني، وأظنه لم يرد الله بذلك، فخشيت عليهم ألّا يُنصروا وأن يغلَبوا وينشَبوا، فاندب إليهم الناس، واضممهم إليك من قبل أن يُحتاجوا" [34].

إن فشل العلاء الحضرمي هذا، لم يوقف الغزوات البحرية زمن عمر بن الخطاب، بل استمرت، على الرغم مما ذكره الطبري (ت310هـ/ 922م) من أن عمر غضب من العلاء الحضرمي لغزوه بلاد فارس بالبحر بغير إذن منه، فعاقبه على ذلك وعزله عن ولايته؛ لأن عمر – رضي الله عنه – كان لا يأذن لأحد في ركوب البحر غازياً[35]، وهذا الأمر يخالف ما يشير إليه ابن سعد (ت230هـ/ 844م) بروايته عن الشعبي (ت103هـ/ 721م) وما يشير إليه خليفة بن خياط (ت240هـ/ 854م)، من أن عمر لم يعزل العلاء عن البحرين لغزوه البحر، بل ليوليه البصرة مكان عتبة بن غزوان؛ لأنه (أي العلاء) – برأي عمر – أقدر على قيادة المسلمين من عتبة بن غزوان، وإلى ذلك يشير عمر – رضي الله عنه – بقوله: "أنْ سِرْ إلى عتبة بن غزوان فقد وليتُك عمله، وأعلم أنك تقدم على رجلٍ من المهاجرين الأولين الذين سبقت لهم من الله الحسنى، لم أعزله (أي عتبةً من غزوان) ألّا يكون عفيفاً صليباً شديد البأس، ولكنني ظننتُ أنك أغنى عن المسلمين في تلك الناحية منه"، لكن العلاء توفي وهو في الطريق إلى البصرة[36].

ومما سبق يتضح أن عمر – رضي الله عنه – لم يكن يمنع المسلمين من الغزو في البحر، ويؤكد ذلك أن الغزوات البحرية لم تتوقف بعد العلاء بن الحضرمي؛ فقد قام والي عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – عثمان بن أبي العاص الثقفي على البحرين وعمان[37] بإرسال أخيه الحكم بن أبي العاص بجيش كبير في البحر، فاستطاع فتح جزيرة أبركاوان[38]، ثم وصل إلى توج في بلاد فارس[39]، ولكن البلاذري (ت279هـ/ 892م) يورد رواية أخرى عن أبي مخنف (ت157هـ/ 773م) تشير إلى أن عثمان بن أبي العاص هو نفسه من قاد

هذه الحملة البحرية، وأنه من فتح توج وبنى فيها المساجد، وجعل منها مركزاً للمسلمين، وذلك سنة (19هـ/ 640م)[40]، ويؤكد رواية البلاذري هذه، ما أورده خليفة بن خياط (ت240هـ/ 854م) في تاريخه من أن عثمان بن أبي العاص قطع البحر إلى بلاد فارس ومعه أخوه الحكم، حيث التقوا مرزبان فارس شهرك، ودارت بين الطرفين معركة ببريشهر قتل فيها شهرك، وفتح المسلمون بعدها بريشهر، كما استطاعوا فتح توج أيضاً، التي قام عثمان بن أبي العاص بتمصيرها بعد ذلك[41]، ويذكر الفسوي (ت277هـ/ 890م) أن عمر - رضي الله عنه - هو من أمر عثمان أن يقاتل بأهل البحرين شهرك[42].

ويذكر البلاذري أيضاً أن عثمان بن أبي العاص عندما غزا جزيرة أبركاوان لقي فيها مرزبان كرمان فقتله فيها[43]، ويظهر أن أعمال عثمان بن أبي العاص وفتوحاته في بلاد فارس كانت بأوامر وتوجيهات من الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - نفسه[44]؛ فقد سمح الخليفة عمر - رضي الله عنه - عام (17هـ/ 638م) للمسلمين بالانسياح وفتح بلاد فارس، وقسمت الجبهات بين قادة المسلمين؛ فأوكل فتح إصطخر لعثمان بن أبي العاص، وقد بدأ المسلمون عملياتهم العسكرية مع بداية عام (18هـ/ 639م)[45]، والمؤكد أن عثمان تولى فتح إصطخر[46] إضافة إلى ولايته البحرين، التي تولاها (أي البحرين) منذ سنة (15هـ/ 636م) - بحسب قول خليفة بن خياط[47] - حتى وفاة الخليفة عمر - رضي الله عنه[48]، لهذا كان عثمان ينتقل إلى فارس لفتحها بالبحر بموافقة من عمر، ومما يؤكد ذلك أن المصادر الإسلامية لا تشير إطلاقاً إلى أي اعتراض من قبل عمر على فتوحات عثمان بن أبي العاص في بلاد فارس وتنقله بالبحر، وقد كان كل ذلك بعلم وموافقة من عمر، كما أن الجهة التي أوكل إلى عثمان فتحها وهي إصطخر، تواجه ضفة الخليج المقابلة للبحرين؛ مما يعني أن اتفاقاً ضمنياً نص على أن يكون غزوها من البحر.

كما يؤكد أن أعمال عثمان كانت برأي وتأييد من عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حيث أن قيام عثمان بإسكان عبد القيس وغيرهم من القبائل في توج بعد تمصيرها، وهو قرار لم يكن قط يختص بالولاة، بل هو قرار للخليفة

وحده، ويؤكد ذلك أيضاً ترك عثمان بن أبي العاص بلاد فارس بناء على أوامر عمر - رضي الله عنه - وعودته إلى عمان والبحرين مركز ولايته، تاركاً المسلمين تحت قيادة أخيه الحكم بن أبي العاص[49].

وهذا أمر يؤكد أن عمليات ركوب البحر التي قام بها عثمان بن أبي العاص كانت بموافقة عمر؛ وكانت مهمات أوكلت - على ما يبدو - لولاة البحرين وعُمان ليقوموا بدورهم في مساندة حركة الفتوح في فارس ودعمها[50]، وهدفت إلى الوصول إلى نقاط المقاومة الفارسية في الخليج، التي يبدو أن بعضها جعل من الجزر مراكز قيادة وتجمع، ودليل ذلك ما حدث من غزو عثمان بن أبي العاص جزيرة أبركاوان، وقتله فيها مرزبان كرمان؛ الأمر الذي سهل على المسلمين فيما بعد فتح كرمان، ويشير البلاذري إلى قتل مرزبان كرمان وأثره في فتح كرمان بقوله: " فوهن أمر أهل كرمان ونخبت قلوبهم "[51].

ولم يتوقف عثمان بن أبي العاص عند هذا الحد بغزواته البحرية وغاراته، بل وصلت غاراته البحرية إلى السند (الباكستان الحالية)، وهي أبعد من فارس؛ فقد أغار من عُمان على تانة (بالقرب من بومباي في الهند)[52]، كما وجه عثمان أخاه الحكم إلى بروص[53]، ووجه أخاه المغيرة بن أبي العاص إلى خور الدبيل (مدينة كراتشي الباكستانية)[54]، وعند عودة عثمان بن أبي العاص من غاراته على السند منتصراً، كتب إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يخبره بما فعله؛ الأمر الذي دعا عمر - رضي الله عنه - إلى تأنيبه وتخويفه من عواقب ذلك، بأنه: لو جرى للمسلمين أمر لاقتص منه ومن قومه، وذلك بقوله: "يا أخا ثقيف، حملت دوداً على عود، وإني أحلف بالله إلّوْ أُصيبوا لأخذتُ من قومك مثلهم "[55]، وهذا القول لعمر لا يشعر بالمعارضة التامة للغزو في البحر، إنما يُظهر أن اعتراضه هنا جاء على غزو السند الذي يشكل غزوها مخاطرة كبرى بالمسلمين؛ بسبب بعدها عن البلاد الإسلامية، وعدم وجود اتصال بري مباشر بها، كما في بلاد فارس[56].

ومما يجدر ملاحظته على غزوات عثمان وإخوته على مدن السند البحرية أنها كانت غارات على مدن عرفت بمكانتها التجارية[57]، ومن المؤكد أنها كانت

مدناً معروفة عند أهل عُمان، فهم من تولى قيادة السفن الإسلامية في غارات عثمان، وهم من أرشد عثمان إليها[58]، ويؤكد هذا ما يشير إليه بعض الباحثين المحدثين من أن: أهل البحرين وعُمان في عصر الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين امتلكوا سفناً كانوا يبحرون بها إلى المناطق المجاورة[59]، وأنهم كانوا يملكون مهارات بحرية كبيرة مكنتهم من القيام بهذه الغارات، كما أن الغارات كانت محاولات استطلاعية مبكرة من المسلمين لفتح السند، وإن لم يكن لها نتائج دائمة ومؤثرة؛ الأمر الذي يؤكد أن الدولة الإسلامية زمن عمر – رضي الله عنه – اعتمدت على قدرات العرب وخبراتهم البحرية في الجزيرة العربية في تدعيم حركة الفتوح الإسلامية على الجبهة الشرقية منها، وفي استطلاع المناطق قبل فتحها.

مما سبق يتضح أن سياسة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لم تكن معارضة لخوض المسلمين غمار البحر والغزو فيه؛ فما أشير إليه من حملات إسلامية بحرية جرت في الخليج العربي من عُمان أو البحرين إلى فارس أو غيرها – وإن فشل بعضها كغزوة العلاء بن الحضرمي على فارس – لم تنقطع، وإن كانت بجهد شخصي من الولاة، ولم يظهر ما يؤكد أن عمر بن الخطاب قد منع المسلمين من ركوب البحر إطلاقاً، إنما كان يخاف من عواقب تلك الغزوات على المسلمين[60].

ومما يلاحظ أن كل الغزوات السابقة خرجت من سواحل الجزيرة العربية في البحرين وعُمان، وهي مناطق أحكمت الدولة الإسلامية السيطرة عليها، واستقر بها نفوذها، وهي مناطق خبرت الإبحار أيضاً منذ زمن طويل قبل ظهور الإسلام، ويظهر أن سكانها امتلكوا كماً كبيراً من السفن البحرية[61]، ساعدت المسلمين – بعد قيام الدولة الإسلامية – على استخدامها في خوض غمار البحر، إضافة إلى وجود الخبرات المحلية العربية التي ساعدت القواد المسلمين على ركوب البحر والإبحار فيه، فليس ثمة المصادر ما يشير إلى أن المسلمين اعتمدوا على غير العرب في الإبحار من البحرين وعُمان في غاراتهم[62].

وعلى رغم كل الخبرات البحرية العربية التي وجدت بساحل الجزيرة على

الخليج وغزوات ولاة عمر البحرية، فإن سياسة عمر – رضي الله عنه – في هذه الفترة لم تكن تتبنى خيار الغزوات البحرية، ومن ثم لم يتجه لتأسيس أسطول بحري عسكري، لكن من المؤكد أنه لم يكن هناك منع لركوب البحر من قبله، بل كانت لديه تحفظات على الغزو في البحر لما في ذلك من مخاطر، ولكن موقفه – رضي الله عنه – من البحر والغزو فيه، تطور تطوراً تدريجياً، ولأسباب محددة ومهمة.

وقد بدأ هذا التطور عندما أراد أن يتبنى خيار غزو البحر بنفسه، وذلك بإرساله حملة بحرية ترد على تهديدات الأحباش وغاراتهم على سواحل الجزيرة، لهذا أرسل حملة بحرية عام (20هـ/ 640م) بقيادة علقمة بن مجزِّز المدلجي إلى الحبشة[63]، وصل عدد مراكبها – كما يذكر اليعقوبي (ت292هـ/ 904م) – إلى عشرين مركباً[64]، وقد توجهت هذه الحملة إلى مدينة ربعات أهم مدينة حبشية – كما يذكر البكري (ت487هـ/ 1094م)–[65]، لكن الحملة فشلت في تحقيق أهدافها، وأصيب بها المسلمون، ويذكر ابن أبي خيثمة في تاريخه – (ت279هـ/ 892م) – أنه كان مع علقمة 300 جندي من المسلمين، غرقوا جميعاً[66]، لكن الأصفهاني – (ت356هـ/ 966م) – يورد أن سبب فشل حملة علقمة يعود إلى تسميم الأحباش لمياه الشرب[67]، وينفرد البكري بذكر أن علقمة نجا ومعه قلة من الجنود[68]، لكن المؤكد هنا أنهم ماتوا جميعاً غرقاً بمن فيهم علقمة، ويبدو أن ذلك كان بعد مواجهة بحرية بينهم وبين الأحباش، وذلك استناداً إلى رواية ابن الكلبي – (ت204هـ/ 819م) – التي تورد ذكر موتهم جميعاً بقوله (أي ابن الكلبي): "فهلكوا كلهم"[69]. واستناداً أيضاً إلى روايتي ابن الكلبي وابن أبي خيثمة – وهما أقدم الروايات حول الموضوع – اللتين تشيران إلى موتهم جميعاً غرقاً.

وقد رثى الشاعر جواس العذري علقمة المدلجي بقوله[70]:

إن السلام وحسن كل تحية تغدو على ابن مجزِّز وتروح
هلا فدى ابن مجزز متفحشٌ شنج اليدين على العطاء شحيح

ورثى جواس العذري أيضاً الجند المشاركين مع علقمة بقوله[71]:

ألهفي لفتيان كأن وجوههم دنانير وافت مهلك ابن مُجزِّز

وقد كان لفشل حملة علقمة دور كبير في دفع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ليبلور موقفاً حازماً من ركوب البحر، وبخاصة أن مقتل علقمة وجنده أثار مشاعر المسلمين وحزنهم، وما رثاء جواس العذري لهم إلا دليلٌ على ذلك، وهنا بدا موقف عمر - رضي الله عنه - الحازم بمنع المسلمين نهائياً من خوض البحر خوفاً عليهم، ولا سيما أنه أدرك أن في ذلك مغامرة كبرى لا تعرف عواقبها، وقد تودي بأرواح كثير من المسلمين، كما حصل مع علقمة وجنوده، ويظهر أنه هنا تحديداً، وبعد هذه الغزوة، أدرك عدم امتلاك العرب لتلك الخبرة الكافية لركوب البحر والغزو فيه، فاتخذ عندئذ قراره النهائي، وإلى ذلك يشير الطبري بقوله: "فجعل عمر - رضي الله عنه - على نفسه ألّا يحمل في البحر أحداً أبداً"[72]، وقد عنى عمر - رضي الله عنه - بقراره هذا منع المسلمين من الغزو في البحر فقط، لما فيه من مخاطر عليهم، لكنه لم يمنع ركوب البحر نهائياً، فقد استمرت السفن تنقل المؤن والطعام من مصر إلى الحجاز حتى نهاية خلافته[73]، كما استمر بعض الصحابة في المتاجرة في البحر[74]، وهنا يجب التأكيد مرة أخرى أن العرب قد امتلكوا سفناً بحرية، ودليل ذلك أن سفن حملة علقمة بلغت عشرين سفينة[75].

ومرة أخرى توضح موقف عمر - رضي الله عنه - السابق (المشدد على منع ركوب المسلمين البحر والغزو فيه)، بعدما أرسل إليه معاوية بن أبي سفيان يطلب السماح له بغزو الروم في البحر، لقربهم من الساحل الشامي، ويبدو أن طلب معاوية هذا أثار عمر - رضي الله عنه -، ودعاه إلى مراجعة قراره السابق بالمنع، لهذا سعى لاتخاذ قرارٍ نهائي، ملتمساً رأياً آخر عند من خبر البحر والإبحار فيه، فأرسل إلى عمرو بن العاص ليطلب رأيه[76]، خاصة أن مصر اشتهرت آنذاك بصناعة السفن المختلفة[77]، وعرف أهلها البحر منذ مئات السنين، فكتب عمر - رضي الله عنه - إلى عمرو بن العاص يشاوره في طلب معاوية ركوب المسلمين البحر وفتح جزيرة قبرص، وخاصة أن رأي عمر - رضي الله عنه - كان يميل إلى عدم ركوب المسلمين البحر، لما فيه من مخاطر

كبيرة، حيث اختبره من خلال غزوة علقمة بن مجزِّز إلى الحبشة، فكتب طالباً رأي عمرو دون ما أي تحفظ، وأن يوضح كل أحوال البحر ومخاطر ركوبه[78]، وقد رد عمرو موضحاً خطورة ركوب البحر بقوله: "إني رأيت خَلْقاً كبيراً يركبه خلْق صغير، إن ركن خرّق القلوب، وإن تحرّك أزاغ العقول، يزداد فيه اليقين قِلّة، والشكّ كثرة، هم فيه كدودٍ على عود، إن مال غرِق، وإن نجا برِق"[79]، ويضيف ابن أعثم – (ت314هـ/ 926م) – إلى قول عمروٍ السابق قوله أيضاً: "إن البحر أمره عظيم وخطره شديد والناس في البحر كدودة تعلقت بخشبة، فما دامت فوقها فهي في خوف شديد، وإن هي تحركت غرقت، ولو أن أمير المؤمنين يرى تلاطم أمواج البحر، وأنواع الأهوال التي يمكن أن توجد فيه فسيزداد برأيه تمسكاً، ولن يسمح لأحد من المسلمين بالمخاطرة بذلك، وهذا هو مقدار معرفتي بأحوال البحر، كتبتها إليك، والسلام"[80].

ويبدو أن عمر – رضي الله عنه – بعد وصوله رأي عمرو، تأكد بما لا يدع مجالاً للشك، خطورة ركوب البحر، كما أن عمر أدرك أن العرب، وإن عرف بعضهم ركوب البحر، فأغلبهم أهل بداوة لم يعرفوه، ولم يكونوا مهرة فيه كما كان الروم، وإلى هذا يشير ابن خلدون – (ت808هـ/ 1405م) – في مقدمته بقوله: "إن العرب لبداوتهم لم يكونوا مهرةً في ثقافته وركوبه، والروم والإفرنجة لممارستهم أحواله ومرباهم في التَّقلُّبِ على أعواده مرنوا عليه، وأحكموا الدّراية بثقافته"[81]، وبعد وصول كتاب عمرو بن العاص قرر عمر منع المسلمين من ركوب البحر نهائياً، وإلى ذلك يشير ابن سعد – (ت230هـ/ 844م) – بقوله: "فأمسك عمر عن ركوب البحر"[82]، وهذا يدل – بما لا يدع مجالاً للشك – أن المنع لركوب البحر لم يكن سياسة عامة طوال خلافة عمر – رضي الله عنه – ، وإلى ذلك يشير أيضاً ابن خلدون بقوله: "فأوعز حينئذٍ بمنع المسلمين من ركوبه (أي البحر)"[83]، لكن ابن خلدون لا يشير إطلاقاً إلى أن هذا المنع لركوب البحر من قبل عمر – رضي الله عنه – إنما كان في أواخر خلافته، بل يشير إلى أنه – (أي منع ركوب البحر) – كان سياسة عامة طوال خلافته، وذلك بإكمال قوله السابق: "ولم يركبه أحد من العرب إلا من افتأت على عمر – رضي الله عنه – في ركوبه ونال من عقابه"[84].

والأدق أن هذا المنع النهائي الذي صرح به عمر – رضي الله عنه – بقوله: "لا يسألني الله عن ركوب المسلمين بحراً أبداً"[85]، وقوله أيضاً: "أحمل أمة على لوح فأغرقهم، لا والله لا أفعل"[86]، كان في أواخر خلافة عمر – رضي الله عنه –؛ حيث كتب برأيه النهائي في ذلك إلى معاوية بقوله: "إنا سمعنا أن بحر الشام يشرف على أطول شيء على الأرض، يستأذن الله في كل يوم وليلة في أن يفيض على الأرض فيغرّقها، فكيف أحمل الجنود في هذا البحر الكافر المستصعب، وتالله لمسلمٌ أحبّ إليّ مما حوت الروم، فإياك أن تعرَّض لي"[87]، ويضيف ابن أعثم – (ت314هـ/ 926م) – أيضاً على ذلك قول عمر – رضي الله عنه –: "فاعلم يا معاوية بأن الله تعالى قد جعلني راعياً لأمة محمد (ﷺ)، وأني أستعين بالله على قيام مصالحهم، ولا أرى أن أعرضهم لخطر البحر، ومع هذا فقد استخرت وتشاورت مع جماعة ممن عاينوا أخطار البحر ولهم في ذلك سابقة، فلم يروا المصلحة بذلك، ووافقوني على كراهيتي لركوب المسلمين البحر، فدع منك هذه الفكرة ولا تذكرها مرة أخرى. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"[88].

وإضافة إلى ما سبق من أسباب دعت الخليفة عمر إلى منع المسلمين من ركوب البحر، فإن هناك أسباباً أخرى أدت دوراً في ذلك، منها أن الفتوحات الإسلامية لم تكن قد استقرت بعد في الشام، وخاصة في المناطق الساحلية؛ فقد كانت آخر ما فتح من الشام، كما أنها لم تخضع للمسلمين خضوعاً تاماً إلا في مرحلة متأخرة من حركة الفتح[89]، لهذا لم تسمح الظروف للمسلمين باتخاذ خطوة الغزو وركوب البحر.

الخاتمة

مما سبق يظهر أن الخليفة عمر – رضي الله عنه – لم يتخذ سياسة بحرية واحدة طوال خلافته، بل نجد أن سياسته تطورت، على عكس ما ذهب إليه بعض المؤرخين[90]؛ ففي بدايات خلافته، وفي فترة مبكرة منها تحديداً عام (14هـ/ 635م)، نجد حركة نشطة للغزو البحري الإسلامي تنطلق من سواحل

الجزيرة العربية على الخليج العربي، من البحرين وعُمان باتجاه بلاد فارس، ووصلت إلى أبعد من ذلك بغزو السند، وعلى الرغم من فشل بعضها، كحملة العلاء بن الحضرمي على بلاد فارس، فإنها استمرت، وإن أشارت المصادر التاريخية الإسلامية إلى كراهة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لذلك، فلا دليل ثابتاً يدل على أن عمر - رضي الله عنه - كان يمنع ركوب البحر، فلو ثبت ذلك فعلاً لما تجرأ أحد من ولاته على ركوبه؛ وذلك لما عرف عن عمر - رضي الله عنه - من شدة محاسبته عماله وولاته؛ فالطبري يذكر أن عمر غضب على العلاء بن الحضرمي وعزله عن ولايته، لكن الأدق الذي أشارت إليه المصادر أن عمر - رضي الله عنه - لم يعزل العلاء عن البحرين إلا ليوليه البصرة، لكنه توفي وهو في الطريق إليها.

كذلك لم تتوقف الغزوات البحرية عند غزو العلاء فارس، فلم يُصدر عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قراراً يمنع ولاته من غزو البحر؛ فبعد أعوام قليلة من غزو العلاء فارس، غزا عثمان بن أبي العاص الثقفي بلاد فارس بحراً، مكلفاً من الخليفة عمر - رضي الله عنه -، ففتح إصطخر، وعدداً من المدن، أبرزها توج من بلاد فارس وجزيرة أبركاوان عام (19هـ/ 640م)، وهنا لا تورد المصادر الإسلامية إطلاقاً أية إشارة منع أو اعتراض من عمر - رضي الله عنه - لركوب عثمان بن أبي العاص البحر لفتح إصطخر من فارس؛ مما يشير إلى موافقته وإن لم تصرح هذه المصادر بذلك، ولم يتوقف الأمر على غزو عثمان بن أبي العاص إصطخر، بل نجده يغزو بعدها السند من عُمان، فيغير على مدن السند البحرية تانة وبروص وخور الدبيل؛ مما أخاف عمر - رضي الله عنه - من عواقب هذه المغامرة التي قد تودي بأرواح المسلمين إلى الهلاك؛ وذلك لبعد بلاد السند عن البلاد الإسلامية.

وعلى الرغم من ذلك نجد أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - نفسه يتخذ خيار غزو البحر، فيرسل حملة بالبحر الأحمر لردع قراصنة أحباش عام (21هـ/ 641م)، لكن هذه الحملة تفشل؛ فيغرق كل من شارك فيها من المسلمين؛ الأمر الذي يدفع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى أن يراجع

كل سياساته تجاه البحر والغزو فيه، فيتخذ قراراً حاسماً بمنع المسلمين نهائياً من الغزو؛ وذلك لتأكده من عدم توافر خبرات كافية لدى المسلمين تؤهلهم لخوض غماره، إضافة لتأكده من خطورته الكبرى عليهم، الذي قد يودي بأرواح المسلمين جميعاً، كما حصل مع علقمة وجنده؛ لهذا توصل عمر لقراره القاضي بمنع المسلمين من ركوب البحر والغزو فيه، بعد إدراك منه لتجارب المسلمين البحرية، ومن خلال مشاورته أيضاً من خبر البحر وأهواله، فخبرتهم غير الكافية لا تسمح لهم بخوض غمار البحر ومواجهة أعدائهم فيه ممن خبروه زمناً طويلاً كالأحباش والروم، على الرغم من معرفة عدد منهم البحر والإبحار، إلا أن أكثرهم أهل بداوة، يجهل البحر وركوبه، فتأكد أن ركوب البحر ما هو إلا مغامرة بأرواح المسلمين نتيجتها محتومة، وهي خسارة المسلمين وضياع أرواحهم غرقاً في البحر بلا جدوى، وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لا يرى - إطلاقاً - أن يغامر بالمسلمين مهما كانت الدوافع أو الأسباب أو المكاسب المرجوة[91].

وأخيراً يتضح أن المسلمين زمن عمر - رضي الله عنه - لم يكونوا منقطعين عن البحر كلياً، بل خاضوا فيه حملات عسكرية عديدة؛ مما يدلل على أنه لم تكن هناك قط سياسة من قبل عمر - رضي الله عنه - تمنع خوض البحر طوال خلافته، بل إن هذه السياسة تبدلت وتغيرت وفق الظروف والتطورات.

الهوامش والمراجع

(1) علي، جواد: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج7، بيروت: دار العلم للملايين، بغداد: مكتبة المثنى، ط2، 1980م، ص 256، 262-281، زيادة، نقولا: **الجغرافية والرحلات عند العرب**، بيروت: مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، 1962م، ص215، 218، لطفي عبد الوهاب يحيى: **العرب في العصور القديمة**، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1996م، ص326-328.

(2) أحمد، سيد مقبول: **العلاقات العربية الهندية**، تعريب: نقولا زيادة، بيروت: الدار المتحدة للنشر، 1974م، ص115.

(3) للمزيد عن النشاط البحري العربي في الجزيرة انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج7، ص 256، 259- 266، العرب في العصور القديمة، ص 329-333.

(4) العرب في العصور القديمة، ص 333.

(5) ابن هشام، عبد الملك: **السيرة النبوية**، تحقيق: الشيخ أحمد جاد، ج1، ط1، المنصورة، مصر: دار الغد الجديد، 2003م، ص245، ابن سعد، محمد: **الطبقات الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ج1، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م، ص159، 161–162.

(6) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج7، ص297، 302، 303، ماهر، سعاد: **البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية**، القاهرة: دار الكاتب العربي، 1967م، ص62.

(7) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج7، ص 244، 259، 262– 263.

(8) السيرة النبوية، ج1، ص253، ويتحدث عمرو بن العاص عن رحلته من مكة إلى الحبشة ثم عودته وركوبه السفن من الحبشة إلى الشعبية، ثم توجهه للرسول (ﷺ) وإسلامه، انظر: الواقدي، محمد بن عمر: **كتاب المغازي**، تحقيق: مارسدن جونس، ج2، ط3، بيروت: عالم الكتب، 1984م، ص744، ابن عساكر، علي بن الحسن: **تاريخ دمشق**، تحقيق: عمر بن عرامة العمروي، ج46، ط1، بيروت: دار الفكر، 1996م، ص125– 126.

(9) المغازي، ج2، ص742، وانظر: تاريخ دمشق، ج41، ص65، اشتهرت قريش بتصديرها الأدم أيضاً إلى الشام وكان معمولاً ومصقولاً ومعتنى به، زخرف بعضه بالذهب، للمزيد انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج7، ص293، 307.

(10) مسلم بن الحجاج: **صحيح مسلم**، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2001م، ص975، وانظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، ضبط النص: محمود نصار، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 2002م، ص575، 702، 764، الطبقات الكبرى، ج1، ص262.

(11) تاريخ دمشق، ج2، ص12.

(12) المغازي، ج3، ص983، الطبقات الكبرى، ج2، ص123–124، تاريخ دمشق، ج41، ص195.

(13) البلاذري، أحمد بن يحيى: **فتوح البلدان**، نشره ووضع ملاحقه: صلاح الدين المنجد، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1956م، ص150، قدامة بن جعفر: **الخراج وصناعة الكتابة**، شرح وتحقيق: محمد الزبيري، بغداد: دار الرشيد، 1981م، ص295.

(14) فتوح البلدان، ص150–151، الخراج وصناعة الكتابة، ص295– 296.

(15) الأزدي، أحمد بن عبد الله: **فتوح الشام**، تحقيق: عصام عقلة، يوسف بني ياسين، تقديم: عبد العزيز الدوري، إربد: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، 2004م، ص177، 237، 245، اليعقوبي، أحمد بن إسحاق: **البلدان**، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1988م، ص89.

(16) انظر: التفاصيل فتوح الشام، ص390–399، ابن حبيش، عبد الرحمن بن محمد: **غزوات ابن حبيش**، تحقيق: سهيل زكار، ج1، بيروت: دار الفكر، 1992م، ص324–327.

(17) المنبجي، أغابيوس بن قسطنطين: **المنتخب من تاريخ المنبجي**، انتخبه وحققه: عمر عبدالسلام تدمري، طرابلس، لبنان: دار المنصور، 1986م، ص30.

(18) فتوح الشام، ص399، غزوات ابن حبيش، ج1، ص327.

(19) فتوح البلدان، ص167، الخراج وصناعة الكتابة، ص301.

(20) تدمري، عمر عبد السلام: "الفتح الإسلامي وسياسة الإسكان لساحل دمشق(لبنان)"، **المؤتمر الدولي الرابع لبلاد الشام**، الندوة الثانية، تحرير: محمد البخيت وإحسان عباس، الجامعة الأردنية، جامعة اليرموك: المجلد الثاني، 1987م، ص358، الأعظمي، عواد مجيد: "بلاد الشام الأرضية والقاعدة في التطلع العربي الإسلامي لفتح مدينة القسطنطينية دراسة عسكرية – حضارية"، **المؤتمر الدولي الرابع لبلاد الشام**، الندوة الثانية، تحرير: محمد البخيت، الجامعة الأردنية، جامعة اليرموك: المجلد الثالث، 1987م، ص338.

(21) سالم، السيد عبد العزيز، العبادي، أحمد: **تاريخ البحرية الإسلامية**، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1993م، ص14، عاقل، نبيه: "موقف سكان بلاد الشام من الفتح، المؤتمر الدولي الرابع لبلاد الشام"، الندوة الثانية، تحرير: محمد البخيت، الجامعة الأردنية، جامعة اليرموك: المجلد الثالث، 1987م، ص173.

(22) فتوح البلدان، ص150، 158، 169، 175، الخراج وصناعة الكتابة، ص295، العدوي، إبراهيم: **الأمويون والبيزنطيون**، البحر المتوسط بحيرة إسلامية، ط2، القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، 1963م، ص83 –84.

(23) فتوح البلدان، ص152، تاريخ البحرية، ص15، 16.

(24) ابن الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله: **فتوح مصر وأخبارها**، تحقيق: محمد الحجيري، ط1، بيروت: دار الفكر، 1996م، ص324، وانظر: المقريزي، أحمد بن علي: **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، وضع حواشيه: خليل المنصور، ج1، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م، ص310–311، السيوطي، عبدالرحمن بن كمال الدين: **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، القاهرة: دار الفكر العربي، 1998م، ص 145.

(25) الطبري، محمد بن جرير: **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج4، القاهرة: دار المعارف، 1977م، ص64، 67.

(26) فتوح البلدان، ص 152.

(27) الطبقات الكبرى، ج4، ص267، فتوح البلدان، ص476، وأورد ياقوت الحموي أنها(بارنجان) بلد بالبحرين افتتحها العلاء سنة 13 أو 14هـ، انظر: ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله: **معجم البلدان**، تحقيق: فريد بن عبد العزيز الجندي، ج1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1990م، ص381، مادة بارنجان.

(28) فتوح البلدان، ص476.

(29) هذا التاريخ الذي ذكره الطبري مشكوك فيه، والمؤكد أنه غير صحيح، فما تجمع عليه

المصادر أن العلاء توفي قبل هذا التاريخ، في سنة (14هـ/ 635م)، لهذا فالمرجح أن غزو فارس حدث في العام الذي توفي فيه، انظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله: **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق: علي محمد البجاوي، م3، بيروت: دار الجيل، 1992م، ص1086، ابن كثير، إسماعيل: **البداية والنهاية**، تحقيق: علي شيري، ج7، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1988م، ص59، 135.

(30) إصطخر: من مدن فارس المشهورة، لها نواح كثيرة، اشتهرت بنشاطها الاقتصادي، انظر: الحميري، محمد بن عبد المنعم: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، حققه: إحسان عباس، بيروت: مكتبة لبنان، 1975م، ص44-45.

(31) انظر: معجم البلدان، ج4، ص9، مادة طاووس، الروض المعطار، ص383.

(32) تاريخ الطبري، ج4، ص79-82، (رواية سيف بن عمر الضبي)، وانظر: غزوات ابن حبيش، ج2، ص309-311، معجم البلدان، ج4، ص9، مادة طاووس.

(33) تاريخ الطبري، ج4، ص80، 81، غزوات ابن حبيش، ج2، ص311.

(34) انظر: تاريخ الطبري، ج4، ص81.

(35) تاريخ الطبري، ج4، ص81،80، غزوات ابن حبيش، ج2، ص310، 311، البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، ص63.

(36) الطبقات الكبرى، ج4، ص268، وانظر: ابن خياط، خليفة: **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط2، دمشق، بيروت: دار القلم، دمشق، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1977م، ص154، فتوح البلدان، ص99.

(37) تاريخ خليفة بن خياط، ص134، فتوح البلدان، ص100، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، م3، ص1035.

(38) جزيرة أبركاوان: جزيرة عظيمة، تقع في الخليج العربي بين عمان والبحرين، كانت عامرة فيها قرى ومزارع، انظر: معجم البلدان، ج2، ص161، مادة كاوان.

(39) فتوح البلدان، ص476، تاريخ الطبري، ج4، ص94.

(40) فتوح البلدان، ص476، وانظر: معجم البلدان، ج2، ص161،66، مادة توج، مادة كاوان.

(41) تاريخ خليفة بن خياط، ص141-142، 149، فتوح البلدان، ص477، المقدسي، مطهر بن طاهر: **البدء والتاريخ**، ج5، بورسعيد: مكتبة الثقافة، ص183، معجم البلدان، ج3، ص127-128، وبريشهر: ناحية من كورة أرجان، المصدر السابق نفسه، مادة ريشهر، وانظر: تاريخ الطبري، ج4، ص175- 177، والذي يورد أن فتح إصطخر كان عام (23هـ/ 643م)، ابن حبيش، الغزوات، ج2، ص765-767.

(42) الفسوي، يعقوب بن سفيان: **المعرفة والتاريخ**، ج3، تحقيق: أكرم ضياء العمري، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1981م، ص200-201.

(43) فتوح البلدان، ص482.

(44) انظر: البدء والتاريخ، ج5، ص183.

(45) تاريخ الطبري، ج4، ص94، وانظر: فتوح البلدان، ص477–478، غزوات ابن حبيش، ج2، ص754–755، البدء والتاريخ، ج5، ص183.

(46) إصطخر: مدينة من أبرز حصون فارس ومدنها وكورها، وهي مدينة كبيرة جليلة كثيرة الأرزاق والتجارات، انظر: معجم البلدان، ج1، ص249–250، مادة إصطخر، الروض المعطار، ص43.

(47) تاريخ خليفة بن خياط، ص134، فتوح البلدان، ص530،100، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، م3، ص1035، ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي: **الإصابة في تمييز الصحابة**، دراسة وتحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، ج4، ط3، بيروت: دار الكتب العلمية، 2005م، ص374.

(48) فتوح البلدان، ص100، ويشير الطبري إلى أن تولية عثمان بن أبي العاص كانت عام (17هـ/ 638م)، انظر: تاريخ الطبري، ج4، ص94، 241.

(49) فتوح البلدان، ص476، وانظر: معجم البلدان، ج2، ص66.

(50) تاريخ الطبري، ج4، ص94.

(51) فتوح البلدان، ص482، ونخبت قلوبهم أي جبنت قلوبهم، انظر: ابن منظور، محمد بن منظور: **لسان العرب**، دمشق: دار صادر، مادة نخب.

(52) البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، ص62.

(53) بروص: من أشهر مدن الهند البحرية وأكبرها وأطيبها، كانت مقصداً للتجار وتجلب إليها أنواع البضائع المختلفة، انظر: معجم البلدان، ج1، ص480، مادة بروج، ج2، ص457، مادة خور.

(54) خور الدبيل ناحية من السند، والدبيل: مدينة على ساحل الهند، انظر: معجم البلدان، ج2، ص457، مادة خور.

(55) فتوح البلدان، ص530، وانظر: الخراج وصناعة الكتابة، ص413، البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، ص62.

(56) انظر: البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، ص64، وترى سعاد ماهر أن عمر إنما أراد بالمنع كبح جماح قواده عن غزوات قد تشكل أدنى خطر على المسلمين.

(57) انظر: معجم البلدان، ج2، ص457، مادة خور، ج1، ص480، مادة بروج.

(58) انظر: عن معرفة العرب بالهند حديث حكيم بن جبلة العبدي مع الخليفة عثمان بن عفان، فتوح البلدان، ص530، الخراج وصناعة الكتابة، ص413–414.

(59) الجغرافية والرحلات، ص223.

(60) يدل على ذلك غضبه من العلاء لغزوه بلاد فارس في حملة كاد يقضى على الجيش الإسلامي

بها برمته، وأيضاً تأنيبه لعثمان بن أبي العاص لغزوه السند لبعدها، ولأن غزوها ما هو إلا مغامرة لا تعرف عواقبها.

(61) يورد الدكتور جواد علي أن العرب قبل الإسلام صنعوا سفنهم بأيديهم في مناطق متعددة من الجزيرة العربية، ولا سيما في سواحل الخليج، حيث تيسر لأهلها استيراد الخشب الصالح لبناء السفن من الهند، انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج7، ص257.

(62) انظر: فتوح البلدان، ص476، تاريخ الطبري، ج4، ص79-80.

(63) ابن الكلبي، هشام بن محمد، **جمهرة النسب**، تحقيق: ناجي حسن، ط1، بيروت: عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، 1986م، ص159، تاريخ الطبري، ج4، ص112، وانظر: اليعقوبي، أحمد بن إسحاق: **تاريخ اليعقوبي**، علق عليه ووضع حواشيه: خليل منصور، ج2، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 2002م، ص107، تاريخ دمشق، ج41، ص193، 196.

(64) تاريخ اليعقوبي، ج2، ص107، ابن حبان، محمد بن حبان: **السيرة النبوية وأخبار الخلفاء**، صححه وعلق عليه: عزيز بك، ج2، ط3، بيروت: الكتب الثقافية، 1417ه، ص482، البكري، عبد الله بن عبدالعزيز: **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تحقيق: مصطفى السقا، ج2، ط3، بيروت: عالم الكتب، 1983م، ص632، مادة ربعات.

(65) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج2، ص633، 632، مادة ربعات.

(66) ابن أبي خيثمة، أحمد بن أبي خيثمة: **التاريخ الكبير المعروف بتاريخ ابن أبي خيثمة**، تحقيق صلاح بن فتحي هلال، السفر الثاني، م1، القاهرة: دار الفاروق الحديثة، 2006م، ص50، ابن حجر، الإصابة، ج4، ص461.

(67) الأصفهاني، علي بن الحسين: **الأغاني**، شرحه وكتب هوامشه: عبد الأمير مهنا، سمير جابر، ج22، ط1، دار الفكر، 1986م، ص158، وانظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج2، ص633، مادة ربعات.

(68) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج2، ص633، مادة ربعات.

(69) جمهرة النسب، ص159، البلاذري، أحمد بن يحيى: **أنساب الأشراف**، تحقيق: سهيل زكار، رياض زركلي، ج11، بيروت: دار الفكر، 1996م، ص135.

(70) الأغاني، ج22، ص159، وانظر: جمهرة النسب، ص159، تاريخ دمشق، ج41، ص193، 196، وجواس العذري: هو جواس بن قطبة العذري، كان شريفاً في قومه، شاعراً، انظر: الأغاني، ج22، ص155.

(71) الأغاني، ج22، ص159.

(72) تاريخ الطبري، ج4، ص112، وانظر: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص107، البحرية الإسلامية وآثارها الباقية في مصر، ص65.

(73) الطبقات الكبرى، ج3، ص214، 236، فتوح البلدان، ص253، تاريخ الطبري، ج4، ص100.

(74) انظر: تاريخ دمشق، ج11، ص52، 82.

(75) تاريخ اليعقوبي، ج2، ص107، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج2، ص632، مادة ربعات.

(76) تاريخ الطبري، ج4، ص258، وانظر: الطبقات الكبرى، ج3، ص216، غزوات ابن حبيش، ج1، ص374.

(77) كاشف، سيدة إسماعيل، **مصر في فجر الإسلام**، من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، 1994م، ص88.

(78) ابن أعثم الكوفي، أحمد بن أعثم: **الفتوح**، م1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1986م، ص264.

(79) تاريخ الطبري، ج4، 258، غزوات ابن حبيش، ج1، ص374.

(80) الفتوح، م1، ص264.

(81) ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، بيروت: دار العلم للجميع، ص253.

(82) الطبقات الكبرى، ج3، ص216.

(83) مقدمة ابن خلدون، ص253.

(84) مقدمة ابن خلدون، ص253.

(85) الطبقات الكبرى، ج3، ص216، أنساب الأشراف، ج10، ص316.

(86) أنساب الأشراف، ج10، ص316.

(87) تاريخ الطبري، ج4، ص259.

(88) الفتوح، م1، ص264.

(89) "موقف سكان بلاد الشام من الفتح"، ص173.

(90) لويس، أرشبيالد، **القوى البحرية في حوض البحر المتوسط**، (500 –1100م)، ترجمة: أحمد عيسى، مراجعة وتقديم: محمد غربال، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ص90، مصر في فجر الإسلام، ص89، تاريخ البحرية، ص15.

(91) انظر: رأي إبراهيم العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص82–83.

* * *